

الالتفاتات

الدكتور: التيجاني بوريقة
مدير قسم الثقافة بالمرکز الأعلى للحضارة الإسلامية

مجال البحث في ميادين اللغة رحب وشاسع - ومن امتننه قديما أو حديثا عرض نفسه لمشاق وأهوال لعل أهونها النقد والتعقيب.

ومن أصعب المؤلفات ما كان له صلة بعلم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب.. فهذه بحر عميق وواسع كثير المزالق وعر الشعاب لا ينجو من الخطأ فيه إلا القليل.

ومن أدوات التأليف المطلوبة في هذا الأمر كون راكمه يجب أن يكون ممن ألبوا بعلوم اللغة وأصولها وفروعها وخبر بنفسه أو استخبر عما يريد الحديث عنه.

فإذا توفرت له هذه الأسس كان انطلاقه محفوفاً بأنواع شتى من الاخطار، وقل من سلم من الوقوع في الزلل سواء من المتقدمين أو من المتأخرين.

ويكفي الإنسان الباحث إخلاص النية والبحث بجهد وهمّة والدعاء المتواصل بالتوفيق والعمل بالقولة القائلة: «الشيء المسجل والمكتوب خير بما فيه من سلبيات وإيجابيات».

والحديث عن موضوع لغوي بلاغي مثل - الالتفاتات - ما هو إلا حديث عن مبحث لغوي فكري أدبي ذو في مضمني يوضح جوانب جديدة أن تجد من الباحثين المعاصرين إتجاها وعناية لابرارها بالدراسة والتعمق في البحث لا من المعنيين بالمباحث اللغوية والنحوية والبلاغية فحسب ولا بالمباحث الأدبية وحدهم بل المعنيين بالثقافة العربية الأصيلة بصفة عامة.

صحيح أن القدماء قد بحثوا ظاهرة - الالتفات - لكن في أغلبه من جانب الإعجاز القرآني يذكر - بروكلمان - أن هناك مخطوط يدعى - الالتفات في القرآن - ونسبه لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى المتوفى 386/996(1). كما أن هناك - كتاب الالتفات - في حاشية الشهاب الخفاجي، وهو كتاب قيم إلا أنه أحياناً يذكر أمثلة قرآنية في غير مواضعها(2). كما ورد في سلسلة - ذخائر العرب عدد 16 الصادرة عن دار المعارف المصرية والتي هي بعنوان :

ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

للرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجاني.

تحقيق وتعليق: محمد خلف الله أحمد. والدكتور محمد زغلول سلام في صفحة 11 - عند تعداد كتب الرمانى علي بن عيسى المتوفى 386/ - أن من كتبه التي تذكرها المصادر كتاب - الالتفات في القرآن - وكتاب - ألفات القرآن - (3).

ويبدو أنهما كتابان حسب ذكرهما لكتب علي بن عيسى الرمانى. وقد حاولنا في هذا البحث أن نبرز ظاهرة - الالتفات - في اللغة وصلة هذا الضرب من العلم ببعض فنون البلاغة ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا في بحثنا المركز على الظواهر الآتية :

الالتفات في اللغة.

معنى مادة - ل - ف - ت - في القرآن الكريم -

الفرق بين الالتفات والاعتراض والاستطراد والاستدراك .

الالتفات في الاصطلاح .

سبب تسميته بالالتفات .

شروط الالتفات.

صلة الالتفات ببعض الفنون البلاغية.

علاقة الالتفات بالتجريد.

الفرق بين التجريد والالتفات.

الخاتمة.

(1) بروكلمان - تاريخ الأدب العربي 1/175 - حاشية الشهاب : علي انبيضاوي : 4/210.

(2) أنظر - الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي - 193.

أنظر تفسير الألوسي : 26/91.

أنظر تفسير أبي السعود : 5/155.

(3) ذخائر العرب عدد 16 ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ط - دار المعارف، مصر 1969.

الالتفات في اللغة

الناظر في مادة - ل - ف - ت - يلفتُ بالكسر يلاحظ فتح الفونيم في الماضي وكسره في المضارع ونعني به حركة العين ومثل هذه الصيغة تأتي للدلالة على أن الحدث فيه تعب وبذل مجهود ولذا كثر وضعه للنعوت اللازمة والاعراض والامراض وغيرها، ولخفة باب - فعل - لم يختص بمعنى من المعاني - بل استعمل في جميعها - لأن اللفظ إذا خفَّ كثر استعماله واتسع التصرف فيه (4) ... ومن هنا جاء تضمناها لمعنى الغلبة والتجريد كقولهم - لَفَتَ الرجل كلَّ من صارعه - أي غلبه، وقولهم - لَفَتَ اللِّحَاءَ قشره (5) .

كما أن من معانيها، التحول والصرف والضمّ ومنه قولهم اتخذتُ لفيتهُ أي عصيدةً، ولَفَتُ الدقيق بالسمن عصدته، وطبختُ لفتيةً سلمجيةً قال بعض الاعراب.

إلى ظاهر عسفتُ كل تنوفة فياف كلون السُخت ما تنبتُ اللفتا
ولولا رجاء جود كفك لم أُرزُ سرخس ولا طوسا ولم أنزل الدشتا (6)
وسمي اللَّفَتَ لفتا لالفاته للنظر، وفلان يلفت الكلام لفتا يرسله على عواهنه وهذا من باب المجاز كما يقول الزمخشري فهو متعدي بدون واسطة.

فإذا ما عدى بزيادة الهمزة - أَلَفَت - صرفته هذه الصيغة إلى معنى القصد مع الانتباه وحولته إلى متعدي بلا واسطة إلى المفعول الثاني فتقول: أَلَفَتَ نظره الأمر وبواسطة : أَلَفَتَ نظره إلى الأمر (7).

فإذا جاء على وزن - افعل - وتفعّل - التفتّ وتلفت - يلتفت ويتلفت دل على تحوّل الوجه فتقول: صرف وجهه إليه - فالصرف ناتج عن حروف

(4) الاسترأيازي النحوي المتوفى 1287/686 شرح شافية بن الحاجب ص 70/1 ط - دار الكتب العلمية بيروت، 1975/1395.

(5) أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع، المتوفى: 1121/515، كتاب الافعال: 130/3 ط - ك 1983/1403.

(6) الزمخشري جار الله محمود بن عمر المتوفى 1143/538 أساس البلاغة ص 410.

(7) أبو علي الفارسي النحوي، المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات، دراسة وتحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، طبع العاني، بغداد، ص 117.

الزيادة - ولقد أحسن الشريف الرضي(8) صنعا في استعماله للصيغتين حيث يقول :

تلفتُ حتى لم يبنُ من بلادكم دخان ولا من نارهنّ وقود
وإن التفت القلب من بعد طرفه طوال الليالي نحوكم ليزيد
ولما تداعى البين قال لي الهوى رويداً أو قال القلب أين تريد
أتطمع أن تسلو على البعد والنوى؟ وأنت على بعد المزار عميد
ولو قال لي الغادون ما أنت مشته غداة جزعنا الرمل قلت أعود(9)
وقد انتهوا إلى أن - التفت - أكثرها عفوية أو عن غير قصد أو بمؤثرات
نفسية بعكس - تلفت - التي خصّوها بالتذكر والتحسر قال الشاعر :

تلفتُ نحو الحي حتى وجدتي وجعت من الاصغاء ليّاً واخدعا(10)
والعرب تقول: مالي إليه ملتفت أو متلفت بصغتي افتعل وتفعّل، فيكون
الالتفات - مصدر لالتفت مأخوذ من المادة المجردة - ل - ف - ت - وهذه
تدل بأصل وضعها على الليّ وصرف الشيء عن جهته المستقيمة - ومنه -
لفت الشيء لويته ولفت فلانا عن رأيه صرفته - ولفت وجهه عن القوم
صرفه عنهم.

وهذا المزيد الخماسي - التفت التفاتا وتلفت تلفتا - لا يتعدى إلا بواسطة
فقالوا : تلفت إلى الشيء وتلفت إليه والثاني أكثر استعمالا قال الشاعر:
أرى الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفت
ورجل ألفت : أحول وتيس ألفت ملتوي القرنين (11)

(8) الشريف الرضي - قال أبو منصور الثعالبي في كتابه : «بيتية الدهر في محاسن أهل العصر».
هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، ولد ببغداد 969/359 وتوفي 1015/406 ودفن في داره
بالكرخ ببغداد، ورثاه أخوه المرتضي بقوله :

يا للرجال لفجعة جذمت يدي ووددت لو ذهب عليّ براسي
ما زلت اصدر وردّها حتى اتت فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
ومطلتها زمنا فلما صممت لم يثنها مطلّ وطول مكاسي
شع عمرك من قصير طاهر ولربّ عمر طال بالانداسي

الديوان - 3/1 إلى 19/2، تحقيق محي الدين عبد الحميد، طبع القاهرة.
(9) الكرخ، القسم الغربي من بغداد الواقع غرب، دجلة الرصافة، القسم الشرقي من بغداد، وفيه قبر
الامام أبي حنيفة والشيخ عبد القادر الجيلاني.
فتوح البلدان، البلاذري 293.

تاريخ الامم والملوك، الطبري 297/5.
(10 - 11) اساس البلاغة - 411.

معناها في القرآن الكريم

قال تعالى «ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك - إنه مصيبتها ما أصابهم» (هود - 81) قرأ بالرفع والنصب «لامراتك» فالنصب وهي قراءة الجمهور على الاستثناء «فأمرأتك» مستثناة من قوله «فأسر بأهلك» (12) أي أسر بأهلك جميعاً إلا امرأتك لا تسربها فإنه مصيبتها ما أصابهم من العذاب وهو رميهم بالحجارة لكونها كانت كافرة والدليل عليه قراءة عبد الله «فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك» (13).

ويجوز أن ينتصب عن «لا يلتفت» على أصل الاستثناء فيكون النصب في الآية الكريمة أمر بترك - الالتفات - لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من عذاب - وإن كان الفصح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن «أخذ» وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء وابن كثير (14).

وأنكر قراءة الرفع جماعة منهم عبيد وقال لا يصح برفع - «يلتفت» ويكون نعتاً - وإن كان البعض يرى أن الرفع على البدل له معنى صحيح - وهو أن يكون استثناء من النهي عن «الالتفات» أي لا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك (بالرفع) فإنها تلتفت وتهلك .

فتكون المادة الثلاثية بأصل وضعها مفيدة لصرف الوجه وتحويله، لذا جاء النهي عن ذلك في الآية الكريمة - إلا أنها في قراءة الرفع جاءت موحية بمعنى التخلف فيكون - الالتفات - على هذه القراءة بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف فكأنه قال : لا يتخلف منكم أحد إلا امرأتك فإنها تتخلف (15).

وإلى هذه الأوجه أشار الشاطبي في منظومته «حزن لأمني» بقوله :

وفاسرٍ إن أسرٍ الوصل أصلٌ دناها

هنا حقّ إلا امرأتك ارفع وأبدلاً (16)

(12) نافع وابن كثير قرأ : فأسر بأهلك بوصل الهمزة والباقون بقطع الهمزة مفتوحة من أسر الرباعي. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي لإمام أبي القاسم علي بن عثمان القاصح العذري البغدادي، شرح منظومة «حزن الأماني ووجه التهاني» لأبي محمد بن فيرا بن أبي القاسم بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي، ص 251 - ط دار الفكر - بيروت - د - ت. (13) الزمخشري جار الله محمود بن عمر - الكشف - 247/2 - 284، ط . دار المعرفة، بيروت. (14 - 15) الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير: 465/2 - 515.

(16) الشاطبي - أبو محمد بن أبي القاسم الرعيني الأندلسي - منظومة حزن الأماني ووجه التهاني. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي ابن القاصح: 251، على شرح، حزن الأماني ووجه التهاني، للشاطبي، وبذيل مختصر بلوغ الأمانة، للشيخ علي محمد الضباع المصري على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ حسن خلف الحسني المقرئ وبالهامش - غيث النفع في القراءات السبع - لولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي، ط : دار الفكر - بيروت.

أمر رحمه الله برفع التاء هنا في - إلا امرأتك - للمشار إليهما بحق وهما ابن كثير وأبو عمرو، فتعين للباقيين القراءة بنصب التاء. واحترز بقوله «هنا» من الذي بالعنكبوت «إننا منجوك واهلك إلا امرأتك فإنه بنصب التاء بلا خلاف - وقوله «إلا امرأتك» أبدل الهمزة ألف ليتزن له النظم - وأشار إلى وجه الرفع بقوله: «وأبدلاً» أشار إلى الاثنين اللذين أبدلا بالتاء في - امرأتك - مرفوعة على البدل من أحد وهي قراءة المكي والبصري، ووجه قراءة النصب ان التاء في - امرأتك - منصوبة على الاستثناء من «أسر بأهلك» (17).

وجاءت صيغة - التفت - مفيدة لمعنى ثلاثيها فقالوا ألفته يلفته لفتا لواه على غير جهته قال تعالى «قالوا أجبثنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا» يونس 78، أي لتصرفنا وتلفتنا عما وجدت عليه آباءنا يعنون عبادة الأصنام (18).

فهذه جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل «فماذا قالوا بعد أن قال لهم موسى ما قال؟»، وفي هذا ما يدل على أنهم انقطعوا عن الدليل وعجزوا عن إبراز الحجة وهكذا يكون اللفت بمعنى الفتل في الآية الكريمة ومطاوعهما الالتفات والانفتال.

وصيغة - الفعل - لا يكون إلا لازماً وهو في الأغلب مطاوع لصيغة - فعل - بشرط أن يكون - فعل - علاجاً أي من الأفعال الظاهرة حتى يتوفر قبول الأثر وذلك فيما يظهر للعيون كالكسر والقطع والجذب واللفت (19) وما إلى ذلك.

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف لفظ - الالتفات بمعنى اللي والصرف - صرف الوجه يمنة أو يسرة في الصلاة إلى جهة خارجها فعن السيدة عائشة رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة؟ فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» (20).

(17) الكشف : 247/2 - البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي.

(18) فتح القدير : 465/2.

(19) شرح الشافية لابن الحاجب، الاسترأبادي النحوي 108/1.

(20) العيني - بدر الدين محمود بن أحمد المتوفى 1451/855، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، 310/5 إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

يتضح لنا مما سبق أن - الالتفات - بترائيبه واستعمالاته المختلفة يدل على معنى الصرف والي عن الجهة المستقيمة والطبيعية، وأكثر ذلك في الماديات، ثم أطلق لفظ الالتفات على ضرب من ضروب الفن البلاغي المعروف حسب ما سنبينه تماشياً مع البحث.

الفرق بين الالتفات والاعتراض والاستطراد والاستدراك

المتتبع لأخبار السلف والناظر في كتب التراث يلاحظ أن الكثير من المتقدمين من لغويين ونحاة وبلاغيين لم يكونوا يفرقون بين الالتفات والاعتراض⁽²¹⁾ فكانوا كثيراً ما يطلقون الثاني على الأول، وسبيله أن الشاعر أخذ في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل بشيء مما يشد الأول كقول كثير عزة عنه⁽²²⁾:
لو أن الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطالا -

فقوله «وأنت منهم» - اعتراض كلام في كلام - وهذا الرأي قال به ابن المعتز وجعله باباً على حدّته بعد باب الالتفات إلا أن سائر الناس يجمع بين الاعتراض والالتفات وإن كان بعض المتأخرين قد انتبهوا إلى الفرق بينهما فأروا قول النابغة⁽²³⁾ :

ألا زعمت بنو عبس بأني ألا كذبوا - كبير السن

(21) الاعتراض، هو أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى ياملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى رفع الإبهام، وسمي الحشو أيضاً، التعريفات : 47.
(22) كثير عزة : هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة وكان رافضياً صاحب عزة شاعر مشهور يقال مات هو وعكرمة مولى بن عباس في يوم واحد فخرجت جنازتهما معاً، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس وذلك عام 770/154 أثبتته ابن الكلبي في الانساب: 48/11 بفتح الكاف وكسر الهمزة المثلثة الاكمال: 161/7، التوضيح: 467/2، التبصرة: 1187/3 طبقات فحول الشعراء لابن سلام: 52/1، الشعر والشعراء: 505/1 الأغاني: 25/8 المؤتلف والمختلف للأمدى: 169، وفيات الاعيان: 106/4.

(23) النابغة الذبياني يكنى أبا أمامة، هو زياد بن معاوية بن جابر بن ضباب بن بربوع من غيظ بن مرة سمي النابغة كقوله :

وحلّت في بني القين بن جسر فقد تبعنا لنا منهم شؤون

وصاحب نهاية الأرب، 59/3 سماء زياد بن عمرو، وهو الذي افتخر الفرزدق في شعره فقال:

وهب القصائد لي النوايع إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ويعني الفرزدق بالنوايع، نابغة بني ذبيان ونابغة بني شيبان ونابغة بني جعدة، أما أبو يزيد فهو الخليل وأما ذو القروح فهو امرؤ القيس وأما جرول فهو الحليّة.

الفرزدق، هو همام بن غالب بن صعصعة توفي 728/110 وذكر ابن دريد أن الفرزدق في شبابه كان يكنى أبا مكية، وكنيته المشهورة والمعروفة أبو فراس سمع ابن عمر وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة روى عنه مروان الأصغر وابن أبي نجيع وابنه لبطة وأشعث بن عبد الملك وفي رواية القاضي الحسين بن إسماعيل المحامي عن الفرزدق الشاعر قال : قال لي أبو هريرة : يا فرزدق، إني أرى قدميك صغيرتين فالتمس لهما موضعاً في الجنة، فقلت : إن لي ذنوباً، الدارقطني: 1833/4 ديوان الفرزدق، (دار بيروت للطباعة والنشر) 159/2 الاكمال: 218/5 شواهد المغني: 29، معاهد التنصيص: 333/1 جمهرة ابن حزم 253 خزنة الأدب: 287/1.

فعدّوا «ألا كذبوا» اعتراض وليس التفتات وسماء آخرون الاستدراك (24) .
 وعدّوا من الالتفات قول جرير الخطفي في رثاء امرأته (25) :
 نعم القرين، وكنت علق مضنة وأرى بعض بلية الاحجار
 فقله : «وكنت علق مضنة» هو الالتفات وجعلوا منزلة الالتفات في وسط
 البيت وإن كان ضده في التحصيل لأن الالتفات تأتي به عفوا وانتهازا ولم
 يكن لك في خلد فتقطع له كلامك ثم تصله إن شئت.
 والاستطراد (26) تقصده في نفسك وأنت تعيد عنه في لفظك حتى تصل
 به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه القاء وتعود إلى ما كنت فيه (27) .

الالتفات في الاصطلاح

كثير من المتقدمين لم يكونوا يفرقون بين الالتفات والاعتراض كما بينا
 فيما سبق فكانوا يطلقون الثاني على مفهوم الأول لذلك عرفوا الالتفات -
 بقولهم : أن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه إلى غيره قبل أن يتم الأول ثم
 يعود إليه فيتممه فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول وزيادة في
 حسنه (28).

(24) ابن رشيق القيرواني أبو الحسن علي المتوفى 456/1063 العمدة 2/45.
 تحقيق، محي الدين بن عبد الحميد، ط : 2 - 1374/1955، القاهرة.
 (25) جرير بن عطية بن الخطفي الشاعر من أصحاب النقائض معاصر للفرزدق وزوجه، أم خزرة
 وهو القائل :

تعزّت أم خزرة ثم قالت رايت الموردين ذوي لقاح

الأغاني : 8/03، وفيات الأعيان، 1/127 شذرات الذهب 1/140 المؤلف والمختلف، 2/750.
 - الاستطراد هو سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض:
 التعريفات، 35.

(26) الاستدراك: في اللغة طلب تدارك السامع، وفي الاصطلاح الاستدراك هو رفع توهم تولد من كلام
 سابق. والفرق بين الاستدراك والاضراب.

إن الاستدراك هو رفع توهم يتولد من الكلام المتقدم رفعا شبيها بالاستثناء نحو: جاءني زيد لكن
 عمرو، لدفع وهم المخاطب أن عمرا جاء كزيد بناء على ملازمة بينهما وملازمة.

والاضراب هو أن يجعل المتنوع في حكم المسكوت عنه ويحتمل أن يلبس الحكم نحو: جاءني زيد بل
 عمرو، ويحتمل مجيء زيد وعدم مجيئه وفي كلام ابن الحاجب ما يدل على أنه يقتضي عدم المجيء قطعاً.

(27) الجرجاني - علي بن الحسن، التعريفات - ص - 34 - تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت
 1985/1405.

(28) البغدادي، أبو طاهر محمد بن حيدر: قانون البلاغة: ص 110 تحقيق د/محسن عياض،
 مؤسسة الرسالة ط، 1983.

وجمهور العلماء يعرفون الالتفات بأنه : التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة أعني التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها(29) .

وقال السكاكي: هو أما ذلك (أي تعريف الجمهور) أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره(30) .

يتضح من هذه القولة أن مفهوم الالتفات عند السكاكي أعم وأشمل من مفهوم الالتفات عند الجمهور : فكل التفات عند الجمهور التفات عنده من غير عكس.

والمتتبع لهذه التعاريف يتضح له أن تعريف الجمهور هو المختار ليس لأن غالبية العلماء من المتقدمين والمتأخرين يسيرون على هذا الاصطلاح لهذا المفهوم فحسب، بل لأن تعريف السكاكي تعريف واسع غير ضابط ولا مانع فهو يدخل في الالتفات ما ليس منه، أما تعريف الجمهور فهو جامع مانع.

وذهب طائفة من العلماء(31) إلى تعريف الالتفات: بأنه العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول(32) فالالتفات عندهم عام وشامل لأي تغيير أو عدول في أسلوب الكلام.

(29) المدني: صدر الدين بن معصوم : أنوار الربيع في أنواع البديع: 1/362، مطبعة النعمان، النجف 1968.

وممن عرّف الالتفات بهذا: أبو حيان وابن أبي الأصبع المبرك والزركشي، وبهاء الدين الشبلي والسيوطي.

انظر : أبو حيان الاندلسي البحر المحیط: 1/24 دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت.

- وابن أبي الأصبع المعري: بديع القرآن: ص 45 مكتبة نهضة مصر ط 1957.

- بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3/314 دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- بهاء الدين السبكي ، عروس الافراح، ضمن شروح التلخيص ، التلخيص، 1/463 مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، التخيير في علم التفسير، دار المنار، مصر.

(30) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوازمي أبو يعقوب عالم في النحو والتصريف والبيان والعروض والشعر توفي بخوازم 1228/626، انظر كشف الطنون ص 1762 وعمر كحالة معجم المؤلفين 13/2822 دار احياء التراث العربي بيروت.

(31) القزويني: جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد: الإيضاح في علوم البلاغة: ص 43، مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولاده بمصر ط 1966.

(32) العلوي، الطراز، 2/132 وانظر : الطوفي، الأكسير، ص 140 وابن الاثير: الجامع الكبير: ص 98

- وقاسم فتحي سليمان: - فن الالتفات - في البلاغة العربية.

فقد أدخلوا في الالتفات تغير الأسلوب من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع أو بالعكس ومن المضارع إلى الأمر ومن الواحد إلى التثنية وبالعكس، والعدول من لفظ المفرد إلى الجمع وبالعكس... ونحو ذلك.

ولكن هذا التعريف كما نرى غير دقيق وغير جامع وغير مانع فأدخل في الالتفات ما تعارف واتفق العلماء على مرّ العصور أنه ليس منه.

فهذا التعريف يجعل كثيرا من الأساليب البلاغية التي منها تغيّر في أسلوب، من الالتفات كالاقتضاب والفصل والوصل والاطناب ونحوها (33). والمتعمّن في هذه التناريف يلاحظ أن تعريف الجمهور للالتفات هو المختار لما اتصف به من الدقة والشمول.

وقد نرى البعض يميل إلى تعريف ابن المعتز الذي ذكره في كتابه - البديع - «هو انصراف المتكلم من المخاطبة إلى الاخبار - وعن الاخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك - ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر» (34).

ومن الناحية التاريخية يبدو أن الأصمعي المتوفى 801/216 من أوائل من استعمله لأنه ذكره في سياق حديثه عن شعر جرير، كما استعمله ابن المعتز في كتابه وذكره المبرد المتوفى 898/285 في كتابه - الكامل - (35). ولا يبعد أن يكون هناك علماء ونقاد آخرون تعرضوا له إن معنى أو اسما أو اصطلاحا.

والمتتبع لظاهرة - الالتفات - يدرك أن - قدامة - أخذه عن نقاد سبقوه وتصرف في مدلوله تصرفا يخالف به بعض ما قصده منه بعض سابقيه.

(33) الاقتضاب : القطع - واقتضب غصنا من الشجرة اقتطعه واقتضب الكلام والحديث انتزعه واقتلعه وارثه وعدّه الزمخشري من المجاز. أساس البلاغة - ص 369.

الوصل : عطف بعض الجمل على بعض بخصوص الواو والفصل ترك هذا العطف. وتنبه موضع أحدهما على موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة. الاطناب - لغة : الإسهاب - وفي الاصطلاح : زيادة اللفظ على المعنى في صورتين مختلفتين أو للتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإيهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا أُلقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم.

القزويني - جلال الدين خطيب جامع دمشق - الإيضاح ص 109/139.

(34) ابن المعتز، البديع : ص 58.

(35) المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل: 68/2.

يقول قدامة في تعريفه «هو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يردّ عليه أو حائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً على قدمه فلما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه» (36) .
ويتبين من الأمثلة الشعرية التي استدلت بها - قدامة على تحديد مفهوم - الالتفات - ومنها قول الرماح بن ميادة (37) .

فلا صرْمُهُ يَبْدُو وفي اليأس راحةً ولا وصلُّهُ بصَفْولنا فنكارمه
فكأنه يقول: «وفي البأس راحة وفي اليأس راحة» التفت إلى المعنى لتقديره أن معارضا يقول له: وما تصنع بصَرْمه؟
إن هذا المفهوم يقترب عنده من المعنى الذي قصده ابن المعتز، كما سيأتي كذلك عنده بمعنى الاستدراك (38) .

ولكن بما أن بعض الباحثين يلوح بوجود فرق بين مفهوم - الالتفات - عند كل من - قدامة - و - ابن المعتز - فلا بد من التأكيد هنا على أنه فرق كبير فعلاً - وربما كان الفرق في المفهوم هو الذي يبرر اختلاف وتعدد التسميات للمصطلح الواحد (39) .

سبب تسميته بالالتفات :

الناظر في هذا المصطلح يلاحظ أن الالتفات في استخداماته الأولى كان يطلق - في أغلبه - على الأمور المادية المحسوسة عند العرب ثم أخذ بعداً اصطلاحياً فيما بعد عندهم بأنه تغيير أسلوب الكلام من خطاب إلى غيبة أو من غيبة إلى تكلم... وهكذا.
ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا اختار العرب له هذا الاسم - الالتفات -

(36) نقد الشعر، 167.

(37) قدامة والنقد الأدبي، 285.

(38) يزعم شوقي ضيف: أن قدامة أخذ المصطلح عن الأصمعي ومن ابن المعتز، البلاغة تطور وتاريخ، 89، ط، دار المعارف مصر.

(39) المصطلح النقدي في نقد الشعر ص 449 ط، طرابلس ليبيا، نقد الشعر، 1984/1394/147.
يشرح قدامة على منهجه، المثل في دلالة وانطباقه على القاعدة 1984/1394 التي يتناولها ولكنه لا يحاول أن يبين الوجه الجمالي في مثل هذا التعبير محتفظاً بأسلوبه المنطقي الشكلي، الخفي باستقراء الأشكال التي تؤدي إلى استقصاء النعوت في استعمالها .
نظرية الشعر عند قدامة بن جعفر - د/غازي يموت - دار الفكر - لبنان .

كثير من العلماء يرى أن ذلك أخذاً من التّفات الانسان يمّنة أو يسرة - فتارة يقبل بوجهه هكذا - وتارة كذا وهكذا حال هذا النوع من البلاغة - يُنتقل فيه من أسلوب في الكلام إلى آخر من خطاب إلى غيبة... أو من غيبة إلى تكلم... وهكذا .

فشبّه انتقال الكلام من صيغة إلى أخرى بانتقال النظر من ذات إلى أخرى يمّنة أو يسرة(40) .

وطريقة استخدام في المعنويات بانتقالها من المحسوسات وهذه معروفة لدى العرب ومتداولة في العربية.

وهنا قد يتساءل البعض عن كيفية استخدام الالتفات وهل له شروط؟

للبحث بقية التيجاني بوريقة

(40) أنظر : ابن الأثير: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلّي العراقي المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر 17/2 تحقيق محي الدين عبد الحميد، 1939، يحيى بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم الاعجاز، 2/131 ط : المقتطف.

(41) ابن عاشور: شيخ الاسلام - محمد الطاهر - تفسير التحرير والتنوير، المقدمة، ص 1198 دار الكتب الشرقية - تونس.

الالتفاتات

(بقية البحث)

الدكتور : السجاني بوربعة
أساذ تعلیم عال

شروط الالتفاتات

يذكر العلماء للالتفاتات شرطاً واحداً يتفق عليه معظمهم، وهو أن يكون المنتقل عنه والمنتقل إليه واحد(41). بمعنى أن يكون ضمير الخطاب مثلاً. المنتقل عنه هو نفسه يعود لمن جرى عليه الحديث بعد ذلك بأسلوب الغيبة - أي للمنتقل إليه - فإذا تخالفا ولم يتطابق الضميران - الخطاب والغيبة أو الغيبة والتكلم لم يعد الأسلوب - التفتاتاً - بل هو كلام عادي كقول القائل: أنا زيد وأنت عمرو - ونحن رجال وأنتم رجال... (42) ونحو ذلك. ومثال عملي على وجود هذا الشرط وللتدليل عليه قوله تعالى: «ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا اعتدنا للكافرين سعيراً» (43) الفتح 15، فلفظ الجلالة - الله - كان بلفظ الغيبة ثم انتقل الأسلوب عنه إلى التكلم - فإننا اعتدنا - ومرجع التكلم والغيبة واحد للواحد الأحد سبحانه (الله). وبعض العلماء اشترط أن لا يكون - الالتفاتات - إلا في جملتين

(41) انظر أبو حيان : البحر المحيط 24/1

انظر الزركشي : البرهان 331/3

(42) انظر، عبد الغني النبلسي - نفحات الأزهار على نسائم الاسحار: ص 54.

(43) أي مقام لهم للأذان بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر، ونكر، سعيراً، لأنها نار مخصوصة، وهذا كلام مستأنف : الكشف 544/3 فتح القدير : الشوكاني 48/5.

مستقلتين(44) والظاهر أنهم يريدون الكلامين المستقلين حتى يمتنع
- الالتفات - عندهم بين الشرط وجوابه ونحوها من الأمور..

قال السبكي(45) فإن كان القائل إن الالتفات لا يكون إلا في جملة
واحدة - يعني به جملة طرفاها مفردان - ويجوز وقوعه بين جملتين لهما
محل واحد معمولتين لشيء واحد، أو بين جملة ومتعلق بها لم ينتقض كلامه
بشيء مما سبق(46) فيكون ذلك الالتفات في جملة طرفاها ليسا مفردين
واضحا في قوله تعالى: «والذين كفروا بآيات الله ولقاءه أولئك يؤسوا من
رحمتي» العنكبوت - 19.

عدّ السبكي(47) قوله تعالى «الذين كفروا...» جملة مبتدأ وقوله تعالى:
«أولئك يؤسوا من رحمتي» جملة خبر لذلك المبتدأ وهكذا جعل العلامة
السبكي - الالتفات - واقع بين جملتين لهما محل من الإعراب ولم يخصص
- الالتفات - في جملة طرفاها مفردان(48).

والذي تجب ملاحظته هو أن جمهور النحاة لا يقرّره على ذلك ويرى في
قوله تعالى: «والذين كفروا بآيات الله ولقاءه أولئك يؤسوا من رحمتي...»
«الذين» ما هو إلا اسم موصول في محل رفع مبتدأ «كفروا» جملة فعلية
صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.. «أولئك» مبتدأ ثاني «يؤسوا...»
جملة فعلية خبر للثاني والثاني وخبره خبر للمبتدأ الأول (الذين)..(49).
وبعضهم جعل قوله تعالى «يؤسوا من رحمتي» وصف لحال من أنكر
وحدانيته والبعث وغيرها لأن المؤمن دائما يكون راجيا خاشعا بعكس الكافر
المشار إليهم بقوله «أولئك»(50).

بل هناك ما هو أقصر من ذلك وهذا كقوله تعالى: «واذكر عبدنا أيوب إذ
نادى ربه... العنكبوت 23 - فهذه جملة واحدة قصيرة التفت فيها من التكلم
«عبدنا» إلى الغيبة «ربه» والأمثلة على ذلك كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.

(44) السبكي - أحمد بن علي بن عبد الكافي العلامة بهاء الدين السبكي، المتوفى 773/1371 بمكة

(45) بغية الوعاة للسيوطي. 342/1

(46) السبكي: عروس الأفراح : 3/468.

(47) السبكي : عروس الأفراح - ج 1/478.

(48) السبكي : عروس الأفراح - 1/478.

(49) الأشموني: علي بن محمد علي الغيبة ابن مالك 123/1

(50) حاشية الخضري على ابن عقيل 1/69

ابن هشام الانصاري 130/1 التصريح

- انكودي ابو زيد عبد الرحمان ص 22

أوضح المسالك على ألفية ابن مالك. ابن هشام الانصاري 142/1

صلة الالتفات ببعض الفنون البلاغية :

المطلب الأول - العلاقة بين الالتفات والاعتراض.

حتى نستطيع أن نحدد العلاقة بين الالتفات والاعتراض إيجاباً أو سلباً لابد لنا أولاً من تحديد الاعتراض لغة وبماذا اصطلح عليه أئمة البلاغة واللغة وخاصة بعدما استقرت علوم البلاغة وتحدت مصطلحاتها بين العلماء وتُعرف على ذلك؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه بالرجوع إلى المفهوم اللغوي لمادة - ع - ر - ض.

فالاعتراض في اللغة من الفعل المزيد - اعترض - يقال: اعترض الشيء أي صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها - كما يقال: اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه. واعترض الفرس في رسنه: أي لم يستقم لقائده واعترضت البعير ركبته وهو صعب واعترض الشيء تكلفه(51).

والممتنع لتصريفات المادة في اللغة يجدها تدل على معنى مشترك وهو الوقوف في الطريق الطبيعي والممانعة(52).

أما الاعتراض في الاصطلاح، فهو أن يؤتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى جملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب(53). وعرفه آخر بقوله: الاعتراض: هو وقوع الكلام الأجنبي بين جزئي الجملة المرتبط أحدهما بالآخر(54)، وهنا قد يتساءل البعض عن الفائدة من الاعتراض.

يأتي الاعتراض لاغراض عدة منها:

تقرير الحكم أي الكلام وهذا كقوله تعالى «تالله لقد علمتم، ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين» - يوسف 73.

فقوله تعالى «لقد علمتم» اعتراض والمراد به تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة(55). وهذا لا يكون إلا بجملة فعلية كما في الآية الكريمة، ولذا تعجبوا

(51) الصحاح للجوهري 1083/3

لسان العرب، 4/2884 طبع دار المعارف، القاهرة .

(52) الزمخشري، أساس البلاغة 298.

(53) الزركشي : البرهان، 3/62.

(54) الطوفي - الأكسري، 172.

(55) الزمخشري : الكشف، 2/334.

مما أضيف إليهم فأقسموا قسم تعجب وجعلوا المقسم عليه هو علم يوسف وأصحابه ينزاهتهم(56).

ومنها قصد التنزيه كقوله تعالى «ويجعلون لله البنات» «سبحانه» ولهم ما يشتهون» النحل — 57 — فقوله «سبحانه» ورد بشبه الجملة (المضاف والمضاف إليه) فهو اعتراض أفاد التنزيه والتعظيم، وفيه الشناعة على من جعل البنات لله كما أفاد التعجب من قوله «ولهم ما يشتهون» يعني بعض البنين(57).

وجوزوا في - «هَما» - الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي جعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور، على أن - «هَما» - في محل نصب بالفعل المقدّر(58).

وأكرر النصب الزجاج أبو إسحق المتوفى 923/311، قال : لأن العرب لا يقولون: جعل له كذا وهو يعني نفسه وإنما يقولون: جعل لنفسه كذا وأجاز النصب الفراء، يحيى ابن زياد المتوفى 822/207 فيكون من باب الالتفات(59)، وليس من باب الاعتراض.

وهكذا يتضح أن الاعتراض فنّ بلاغي معروف يختلف عن الالتفات سواء أكان في المفهوم أم في الأغراض.

والذي تجب ملاحظاته أن بعض المتقدمين - وهذا ما يجب علينا أن نعلمه - قد اطلقوا كلا من مُصطلحي الالتفات والاعتراض على الآخر وذلك قبل أن تتحد علوم البلاغة وتتمايز فنونها وتستقر مصطلحاتها، ومن هؤلاء قدامة بن جعفر(60) وأبو هلال العسكري(61) وغيرهما(62).

(56) الشوكاني : فتح القدير، 4/ 42.

(57) الزركشي، البرهان، 3/ 62.

(58) الزمخشري، الكشاف، 2/ 414.

(59) الشوكاني، فتح القدير، 3/ 170.

(60) قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، توفي ببغداد 948/337. أنظر النجوم الزاهرة: 3/ 297 الاعلام، الزركشي 5/ 191.

(61) أبو هلال العسكري: هو عبد الله بن سهل كان موصوفاً بالعلم والفقه والغالب عليه الأدب والشعر، لم يذكر المؤرخون وفاته، بغية الوعاة 1/ 506.

(62) انظر قدامة ابن جعفر، نقد الشعر ص : 81.

انظر أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص : 438.

انظر الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية لعباس بن علي الصنعاني ص 146 ط. الدار العربية للكتاب - ليبيا.

والآن لا يمكن لنا بعد أن تمايزت العلوم واستقرت مصطلحاتها أن نطلق الالتفات على الاعتراض أو بالعكس.

لا ننكر أن الاعتراض يشبه الالتفات في أنه تغيّر في أسلوب الكلام وذلك بوجود الجملة المعترضة — غير أن الفرق بينهما واضح كما رأينا. فالاعتراض شيء والالتفات شيء آخر وإن كان بينهما تداخل فكل واحد منهما له مميزاته وخصائصه الفنية.

علاقة الالتفات بالتجريد

لا شك أن العنوان يفرض علينا التعرض للفظ — التجريد — وهنا لا بدّ لنا من تعريف — التجريد — لغة واصطلاحاً ومن ثمّ نستطيع أن نميز صلة — التجريد بالالتفات — .

التجريد — مصدر مزيد من مادة — ج — ر — د — والفعل منه — جَرَدَ يَجْرُدُ جَرْدًا، وجرد الشيء قشره، وعليه جَرَدَ، يقال رجل أجرد لا شعر عليه، وفرس أجرد وخيل جُرْد ومكان أجرد وأرض جرداء، أي منجردة عن النبات، وجَرَدَ السيف من غمده سلّه والزمخشري جعله من باب المجاز. وتجردت السنبلة وانجردت، خرجت من لفائفها وجَرَدَ الكتاب والمصحف عرّاه من الضبط والزيادات والفواتح، وتجَرَدَ للأمر جدّ فيه وكذلك تجرّد في سيره وانجرد(63).

المنتبّع لمادة — ج — ر — د — يلاحظ إفادتها للتعرية فيكون التجريد في اللغة المراد به التعرية يقال: جَرَدَ من ثيابه فتجرد وانجرد تعرى وأهل الجنة جُرْد مُرْد(64).

والتجريد: عند المتصوفة إماطة السوى والكون على السر والقلب(65) والتجريد كذلك خلو قلب العبد وسرّه عما سوى الله — وهو ألا يأخذ من عرض الدنيا شيئاً — ولا يطلب عما ترك منها عوضاً من عاجل ولا أجل، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلّة غيره، ولا لسبب سواه، ويتجرد بسرّه عن ملاحظة المقامات التي يخلها — الاحوال التي ينازلها — بمعنى السكون إليها والاعتناق لها(66).

(63) انظر اللسان، 588/1.

(64) الزمخشري، أساس البلاغة 56.

(65) انظر معجم مصطلحات الصوفية د/ عبد المنعم الجفني ص 41، طبعة دار المسيرة، بيروت الطبعة الثانية 1407/1987.

(66) الجرجاني، التعريفات ص 73، دار الكتاب العربي، بيروت.

والتجريد في علم البلاغة، هو أن يُنزع من أمر موصوف بصفة أمر آخر مثله في تلك الصفة للمبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الامر المنتزع عنه نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم فإنه انتزع فيه من أمر موصوف بصفة وهو فلان الموصوف بالصدقة، أمر آخر وهو الصديق الذي هو مثل فلان في تلك الصفة - للمبالغة في كمال الصداقة في فلان - والصديق الحميم هو القريب المشفق - ومن - في قولهم: من فلان تسمى تجريدية(67).

وهكذا يكون التجريد في الاصطلاح(68)، هو أن تعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه مباين له فتخرج ذلك إلى ألفاظه فيما اعتقدت ذلك(69). وذلك نحو قولهم: لئن لقيت زيدا لتلقين منه الأسد ولئن سألته لتسألن منه البحر، فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً، وهو عينه هو الأسد والبحر إلا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه.

ومنه قول الأعشى(70).

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل(71)
وهو الرجل نفسه لا غيره.

ومن التجريد في القرآن الكريم قوله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر - الكوثر - 1-2 - فقوله «لربك» تجريد.

الفرق بين التجريد والالتفات

الناظر في هذا الضرب من العلم يلاحظ أن بين التجريد والالتفات عموماً وخصوصاً من وجه، فيوجد في الغالب التجريد دون الالتفات وهذا كقولك: رأيت منه أسداً - ومثل ذلك - تناول ليك على رأي الجمهور(72).

(67) ابن جني، الخصائص 2/473.

(68) الزركشي، البرهان 3/504.

(69) الزركشي، البرهان 3/504.

(70) الأعشى، هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف... بن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل من ربيعة، كان يلقب بالأعشى لضعف بصره وذكر ابن قتيبة أنه كان أعمى ولعلّه عمي في آخر حياته ويكنى أبا بصير ويلقب بالصناجة كان جاهلياً وأدرك الإسلام ولم يسلم، وعدّ من أصحاب المعلقات العشر.

انظر ابن قتيبة الشعر والشعراء 1/257 دار المعارف، القاهرة 1958 وأبو القاسم الحسن بن بشر الأمري، المؤلف والمختلف ص 401 دار الكتب العلمية، بيروت 1982.

أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني 8/78 طبعة بيروت.

(71) المعلقة، ودع هريرة، من البحر البسيط، إن البسيط لديه يبسط الأمل (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن).

(72) أنظر، السبكي، عروس الافراح، 1/476.

وأما الالتفات والتجريد فيلتقيان عند الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة كقوله تعالى «فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز» هود 66.

فقوله - ربك - التفات إلى الغيبة ويسمى تجريدا أيضا وكقوله تعالى «فصل لربك وانحر» الكوثر - فهو التفات من التكلم إلى الغيبة، والأمثلة على هذا النوع كثير في كتب السلف فليعد إليها طالب المزيد (73).

وأما أغلب أقسام الالتفات فلا يوجد معها تجريد وهي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم.

وهكذا يتضح لنا أن هناك فرق واضح بين الالتفات والتجريد لا ننكر أنهما قد يلتقيان في نوع واحد من الالتفات كما ذكرنا غير أنهما يبقيان فنين منفصلين أو أسلوبين متباينين متميزين.

والمختص في هذا الضرب من العلم يلاحظ أن بعض الكتاب قد خلط بينهما وجعل التجريد لونا من ألوان الالتفات وأسلوبا من أساليبه، وهذا في رأي بعضهم، لما للالتفات من حيوية وقابلية على استيعاب أساليب أخرى كالتجريد وغيره (74).

والذي قاده إلى هذا الكلام هو اعتقاده: أن أي كلام فيه عدول وانصراف وتلوين هو التَّفَات - وقد أوضحنا فيما سبق خطأ هذا الرأي وهذا الاعتقاد ومخالفته لرأي الجمهور والعلماء والأدباء وأرباب هذا الفن بما يغني عن إعادته هنا.

الخاتمة :

لا ننكر أن للصوت تأثير عظيم على النفس وهذا ما لاحظته العربي وانتبه إليه منذ القدم فلا غرابة إذا ما لاحظنا علماء العربية يهتمون بظاهرة - الالتفات - وذلك لما لاحظوه من تغاير في الصوت إذ تأثير تغاير الضمائر من خطاب إلى غيبة ونحوها له تأثير في السامع والقارئ لما يحدثه من نبرات صوتية.

(73) انظر قاسم فتحي سليمان، فن الالتفات في البلاغة العربية.
(74) قاسم فتحي سليمان، فن الالتفات في البلاغة العربية، رسالة ماجستير.

ضف إلى ما للالتفات من ظواهر اجتماعية كإظهار الاحترام والتأدب مع المخاطب بإحلال ضمائر الغيبة محل ضمائر الخطاب ومثل هذه الظاهرة لازلنا نشاهدها في حديثنا إلى اليوم كقول البعض، هل فرغ السيد من ترشف قهوته؟!

ولفضل الالتفات ومكانته في اللغة العربية سماه كثير من العلماء - بشجاعة العربية - وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة ضرب من الأقدام، فالشجاع يركب من المخاطر ما لا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورده سواء وكذلك حال الالتفات في الكلام(75).

وسماه بعضهم - بالتكوين - وأحياناً - بتلوين الخطاب - لما فيه من تغيير في أسلوب الخطاب والكلام.

وسماه آخرون - بقرى الأضياف - تشبيهاً له بالطعام المتعدد الألوان الذي يقدم للضيوف للإكرام وإثارة الشاهية لأن أسلوب هذا الضرب (الالتفات) متعدد الأشكال من خطاب وغيبة وتكلم يمتع السامع كما تمتعه أصناف الطعام سواء بسواء.

فهو إذًا من أجل علوم البلاغة وهو أمير جنودها والواسطة في قلائدها وعقودها(76)، وبهذا نكون قد وفينا بمقتضيات البحث وبالله التوفيق.

الدكتور التيجاني بوريقة

(75) محمود السعدان، اللغة والمجتمع : 165.

(76) أنظر ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 2/ 167، 198 عز الدين ابن عبد السلام، الفوائد في مشكل القرآن، طبع دار الشرق للنشر والتوزيع، بيروت، 1982.

- تفسير البيضاوي، شرح الخفاجي، 2/ 412.

- السكاكي، مفتاح العلوم، 95.

- العلوي، الطراز : 131.

فهرس المصادر والمراجع

أثبتنا فهرس المصادر والمراجع طبقا لما جاء متماشيا مع البحث وحسب ت
ذكرها.

- (1) تاريخ الأدب العربي : بروكلمان .
- (2) حاشية الشهاب : علي البيضاوي.
- (3) حاشية الشهاب : الخفاجي.
- (4) تفسير الألوسي.
- (5) تفسير أبي السعود
- (6) ذخائر العرب.
- (7) شرح شافية ابن الحاجب : الاستراباذي.
- (8) كتاب الافعال : ابن القطاع.
- (9) أساس البلاغة : الزمخشري
- (10) المسائل المشكلة : المعروفة بالبغداديات، أبو علي الفارسي.
- (11) يتيمة الدهر : الثعالبي.
- (12) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي : ابن القاصح -
- (13) الكشف : الزمخشري.
- (14) البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي
- (15) فتح القدير : الشوكاني.
- (16) منظومة حرز الأمان ووجه التهاني : الشاطبي.
- (17) مختصر بلوغ الامنية : الضباع المصري
- (18) تحرير مسائل الشاطبية : الشيخ حسن خلف.
- (19) غيث النفع في القراءات السبع : علي النوري الصفاقسي.
- (20) عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري : العيني.
- (21) التعريفات : الجرجاني.
- (22) الانساب : ابن الكلبي .
- (23) الاكمال.
- (24) التوضيح.
- (25) الشعر والشعراء.
- (26) الأغاني.
- (27) المؤلف والمؤلف.
- (28) وفيات الأعيان.
- (29) نهاية الأرب
- (30) ديوان الفرزدق.
- (31) شواهد المغنى.
- (32) معاهد التنصيص.
- (33) جمهرة ابن حزم.
- (34) خزانة الأدب.
- (35) العمدة : ابن رشيق.
- (36) شذرات الذهب: لابن عماد الحنبلي
- (37) قانون البلاغة : أبو طاهر البغدادي
- (38) أنوار الربيع في أنواع البديع : صدر الدين ابن معصوم المدني.

- (39) البرهان في علوم القرآن : الزركشي.
- (40) البحر المحيط : أبو حيان الاندلسي.
- (41) بديع القرآن : ابن أبي الإصبع.
- (42) عروس الافراح : السبكي.
- (43) شروح التلخيص : على التفتزاني.
- (44) التحبير في علم التفسير : السيوطي.
- (45) كشف الظنون: لحاجي خليفة
- (46) مفتاح العلوم : السكاكي.
- (47) معجم المؤلفين : كحالة.
- (48) الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني.
- (49) البديع : ابن المعتز.
- (50) فحولة الشعراء الأصمعي
- (51) الكامل : المبرد.
- (52) نقد الشعر : قدامة ابن جعفر.
- (53) قدامة والنقد الأدبي.
- (54) المصطلح النقدي في نقد الشعر : إدريس الناقوري.
- (55) البلاغة تطور وتاريخ : شوقي ضيف.
- (56) فن الالتفات في البلاغة العربية : قاسم فتحي سليمان.
- (57) نظرية الشعر عند قدامة بن جعفر : د/ غاري يموت.
- (58) الطراز : العلوي.
- (59) الاكسير : الطوفي.
- (60) المثل السائر : ابن الأثير.
- (61) تفسير التحرير والتنوير : ابن عاشور.
- (62) نفحات الازهار على نسمات الأشجار : عبد الغني النابلسي.
- (63) بغية الوعاة : السيوطي.
- (64) الاشموني : علي بن محمد.
- (65) حاشية الخضري على ابن عقيل..
- (66) التصريح : ابن هشام الانصاري.
- (67) أوضح المسالك على ألفية ابن مالك : ابن هشام الانصاري
- (68) المكودي : أبو زيد عبد الرحمان.
- (69) الصحاح : الجوهري.
- (70) لسان العرب : ابن منظور.
- (71) كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري
- (72) الرسالة العسجدية في المعاني المؤيدية : الصنعاني عباس بن علي.
- (73) معجم مصطلحات الصوفية: عبد المنعم الجفني.
- (74) المعلقة العشر: للشنقيطي
- (75) المعلقة السبع: الزوزني
- (76) ميزان الذهب: الهاشمي.
- (78) فن الالتفات في البلاغة العربية : قاسم فتحي سليمان.
- (79) اللغة والمجتمع : محمود السعدان.
- (80) الفوائد في مشكل القرآن : عز الدين ابن عبد السلام.